ظهور الأعراب في البيئة اللغوية بين التوظيف والحقيقة

مجدي شحادات*

ملخص

يتناول هذا العنوان بالدراسة حقيقة ظهور الأعراب الذي تم توظيفه في البيئة اللغوية مرجعية لغوية تلعب دور القاضي الذي يفصل في الخلافات اللغوية بين العرب ففي المرحلة الأولى من مراحل الدرس اللغوي دخل الأعراب عهدا جديدا حتى غدا استحضارهم عند الأوائل ظاهرة تستحق الوقوف عليها، فالأمثلة التي أسندت لهم والحجج التي أقيمت على حضورهم تحتاج النظر والتأمل وقد جمعت الدراسة أمثلة مختلفة حاول علماء اللغة إثبات أفكار محددة من ورائها، أو تأكيد توجهاتهم عن طريق إسنادها للأعراب، فجاءت غالب تلك الأمثلة من باب المشهور في لغة العرب قياسا واستعملا كما هي في أصول الفكر اللغوي، من هنا عمدت هذه الدراسة لتقديم تصور علمي دقيق لذلك الحضور القوي للأعراب، ولسلطتهم وللتوظيف المثير للشك في بعض الأحيان بكيفية تناسب حاجة مستحضريها وتخدم أفكارهم.

الكلمات الدالة: أعرابي، رواية، الفكر، اللغوي، مثال.

المقدمة

نبحث تحت هذا العنوان في الروايات التي ظهر فيها الأعراب بصورة المرجعية اللغوية التي تمتلك سلطة ينصاع لها أمراء الفصاحة والبيان، ونعرض أهم القضايا التي استُحضر فيها الأعراب؛ لنكشف عن مكانتها في الفكر اللغوي والقيمة المستفادة منها. فقد تتقرر عند الأوائل من علماء اللغة أن كلام العرب الخلص من بدو الجزيرة العربية هو النموذج المثالي الذي يحتج به ويقاس عليه، حتى باتت فصاحة الأعراب في العرف اللغوي حقيقة مفروضة، وقد خصت هذه الفصاحة أبناء قبائل محددة (السيوطي, 1998)، فعلماء اللغة رأوا أن القبائل التي عاشت في وسط الصحراء بعيدة عن الحضر ذات لهجات أجود من لهجات القبائل الأخرى على التخوم وفي أطراف البادية، وأفشى في الفصاحة لبعدها عن الشوائب وأنقى في سماتها اللهجية، كالكشكشة أو العنعنة أو غيرها.

إن طريقة توظيف الأعراب في البيئة اللغوية مسألة مهمة تحتاج إلى دراسة وتثبت للكشف عن حقيقة ذلك التوظيف, فالقضايا اللغوية التي طالعتنا في الأمثلة المشهورة بحضور الإعراب تعكس أحيانا فلسفة ومنطقا وتحتاج إلى إعمال فكر وتدبر للتعاطي معها، ومنها ما يمثل قواعد لغوية أقرّها الفكر اللغوي قياسا على الأصل، أو سماعا عن القبائل العربية، أو محاكاة للنص القرآني, ولتسليط الضوء على هذه القضية وبحث قيمتها العلمية نفصل القول في المحاورين التاليين:

محورا الدراسة:

الأول: نبحث في أمثلة تنتمي لثلاث مراحل من قيام الدرس اللغوي عند العرب، حيث نقدم أثرها في الفكر اللغوي بناءً على استناجات علمية موضوعية.

الثاني: نبحث في أمثلة من اللغة والنحو والصرف؛ للكشف عن الإضافة العلمية التي أرادها العلماء من استحضار صورة الأعرابي.

أولاً: الأعرابي والدرس اللغوي:

ظهرت شخصية الأعرابي في مسائل لغوية مختلفة جاءت في فترات زمنية متباعدة كانت كل فترة تمثل طورا من أطوار الدرس اللغوي؛ لذا يختلف توظيف كل قضية عن غيرها بناءً على ذلك، وعليه نبحث في هذه الروايات اعتمادا على تطور الدرس اللغوي من مرحلة النمو حتى النضع والاكتمال.

^{*} جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2020/2/6، وتاريخ قبوله 2020/9/13.

1- قصة الأعرابي الذي قدم في خلافة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - يريد سماع شيء من القرآن الكريم فقال:" من يقرئني شيئاً مما نزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - فأقرأه رجل سورة براءة... أن الله بريء من المشركين ورسوله (بجر كلمة رسوله) فقال الأعرابي: أوقد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبراً منه، فبلغ عمر _ رضي الله عنه مقالة الأعرابي، فدعاه فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: إن الله برئ من المشركين ورسوله... فقال عمر - رضي الله عنه - ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أن الله برئ من المشركين ورسوله... فقال الأعرابي: وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر - رضي الله عنه - ألا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة "(ابن الأنباري, 1985).

وتنتمي هذه الرواية إلى مرحلة بدائية من أطوار الدرس اللغوي، كانت طبيعته آنذاك بسيطة لا ترتقي إلى طرح فكري عميق في الفلسفة اللغوية، وهي رواية لا تخلو من توجيه مقصود أقحم فيها الأعرابي ليُستنطق كلاما محددا يخدم فكرة تعليمية غرضها الحفاظ على تلاوة القران الكريم بالصورة التي يُسمع بها من القراء الثقات، ويعزز هذا الاستنتاج فكرة التعليم بالمشافهة التي كان يؤخذ العلم بها حينئذ؛ لذا فعمر – رضي الله عنه – يعقب على هذه الحادثة مشددا ألّا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة، وأما الإشارة الأخرى التي تعكسها هذه الرواية, فهي أثر الحركة الإعرابية في توجيه الدلالة، وهي أسبقية متقدمة نسبيًا في البحث اللغوي ؛ فليس للتصرف الإعرابي في هذه الآية الأثر المباشر في توجيه المعنى مقارنة بآيات أخرى من القرآن الكريم، لكنّ الغاية التعليمية عند العلماء دفعتهم لاستغلال هذا الجانب على لسان الأعرابي.

2- قصة أبي عمرو بن العلاء حين سُئل عن: ليس الطيبُ إلا المسك، فقد قال الأصمعي: "جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو ما شيء بلغني منك تجيزه ؟ قال: وما هو؟ قال: إنك تجيز ليس الطيبُ إلا المسكُ بالرفع, فقال أبو عمرو: نمت وأدلج الناس, ليس في الأرض حجازي إلا هو ينصب, وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع, ثم قال أبو عمرو: قم يا يحيى - يعني اليزيدي - وأنت يا خلف - يعني خلف الأحمر - فاذهبا إلى أبي المهدي ولقناه الرفع فإنه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع ولقناه النصب فإنه لا ينصب... "(القالي, د/ت).

وهذه الرواية تنتمي إلى مرحلة الوضع والتأسيس أي المرحلة التي وضعت فيها الأصول ومُدّ القياس وبدأ التفسير والتأويل، لذا فقد جمعت لغتين من لغات القبائل العربية التي يُحتج بها، لكنّ إحدى اللغتين وهي إهمال عمل ليس في هذا القول لم تقع ضمن الكثير المطرد الذي أجمع عليه العلماء؛ لذا فأبو عمر بن العلاء عندما سئل عن إجازة هذا الوجه نسبه إلى لغة تميم، وأراد أن يؤكده فاستشهد برأي أعرابي يعيش بين ظهرانيهم وهو المنتجع، وفي الرواية نفسها يقدم الوجه الآخر اعمال ليس في هذا الموضع ويسنده إلى أعرابي آخر وهو أبو المهدي, ومع ذلك فشهادة المنتجع كما أراد أبو عمرو بن العلاء بمثابة الإجازة العلمية التي أعطت هذا الاستخدام شرعية لغوية مقابل الوجه الآخر الذي يثبت نقيضه قياسا واستعمالا ؛ لذا يقول سيبويه: " وزعموا أن بعضهم قال: ليس الطيبُ إلا المسكُ... "(سيبويه,1996)، وهذا على اعتبار أن ليس مشبهة (بـ ما)لأنه قال: " وألف الاستفهام وما في لغة بني تميم، يُفصلن ولا يعملن، فإذا اجتمع أنك تفصل وتُعمل الحرف فهو أقوى " (سيبويه,1996)، أي أن سيبويه يرى أن إعمال ما في هذا الوجه أقوى من إهمالها.

ويأتي ابن جني بعد ذلك ويسير مع توجه سيبويه فيقول: " ليس لك أن ترُد إحدى اللغتين بصحابتها، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير إحداهما، فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسيين أقبل لها، وأشد أنسا بها، فأمّا رد إحداهما بالأخرى فلا " (ابن جني,2001). بهذا الحضور استُثمِر الأعراب في هذه الرواية لاستيعاب واقع لغوي من العربية الفصحى، وأسهم هذا التوظيف بقدر كبير في اتساع باب القياس وظهوره في مجال رحب لا عسر فيه يأخذ بمبدأ " كل ما كان لغة قبيلة يقاس عليه" (السيوطي,1998) وعليه أخذ الفكر الغوي بهذه الرواية مساحة كبيرة خرج من خلالها عن إطار التشدد ورفض كل ما وصف بالندرة أو القلة أو الشذوذ.

3- المسألة الزنبوربة:

تشير الروايات إلى أن سيبويه والكسائي اجتمعا يومًا في حضرة الرشيد، وطرح بعض من حضر ذلك المجلس أسئلة على سيبويه، وتم النقاش حولها حتى وصل الأمر إلى الكسائي فقال لسيبويه:" كيف تقول قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه:هو هي، ولا يجوز النصب، فقال الكسائي: لحنت وخطّأه الجميع، وقال الكسائي:العرب ترفع ذلك كله وتنصبه، ودفع سيبويه قوله، فقال يحيى بن خالد البرمكي: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما وهذا موضع مشكل؟ فقال الكسائي:هذه العرب ببابك قد جمعتهم من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس...فأمر بإحضارهم

فدخلوا...وسُئلوا عن المسائل التي جرت بينهما فتابعوا الكسائي..."(الحموي,د/ت).

ولقد ظهرت هذه المسألة في مرحلة متقدمة من أطوار الفكر اللغوي، مرحلة شهدت نضجا واكتمالا في الدرس اللغوي، قامت خلاله العلة النحوية، واتسع التأويل فاندفع أنصار كل وجه في هذه المسألة لإثبات رأيه أو رد الرأي الآخر بحجج وبراهين متعددة، وعلى الرغم من أن الوجه المرجح فيها قول سيبويه، إلا أن الوجه الآخر الذي تبّناه الكسائي أحد أئمة النحو في عصره يبقى استخداما لغويا أقرّه الأعراب وأعطوه شرعية لغوية، علما أن أنصار سيبويه يشككون في فصاحة أولئك الأعراب ويقولون: إنهم من أعراب الحطمة الذين كانوا يسكنون أطراف بغداد (الحموي ,د/ت)، ومع ذلك فالدراسة معنية في هذه الرواية للبحث في أثر هذا الوجه اللغوي – كما أجازه الأعراب في الفكر اللغوي.

ولقد كان لتطور الدرس اللغوي في هذه المرحلة الأثر الواضح في التعاطي مع هذه القضية،إذ أضافت المسألة الزنبورية فكراً متقدماً إلى الفلسفة اللغوية فاقت به ما سبقها من المستويات اللغوية في المراحل السابقة ؛ لذا تعمق أنصار سيبويه في بحثهم عن العلل النحوية لرد التأويلات التي تبناها الطرف الآخر في إثبات رأيهم، فحشد أنصار سيبويه كل دليل يثبت فساد ما ذهب إليه الكسائي، وعللوا وجه الفساد في كل أدلتهم العقلية والنقلية، أما أنصار الكسائي فقد أخذوا بتأويلات كثيرة اعتمدت على استدلالات مختلفة وحجج وبراهين متعددة ؛ لإثبات مشروعية استخدامهم فجاءت تأويلات الطرفين بشيء من التكلف والصناعة أحيانا والإفراط في التقدير أحياناً أخرى.

ومن التأويلات التي ذكرها العلماء لرأي الكسائي أن (إذا) ظرف فيه معنى وجدت ورأيت، وعليه جاز له أن ينصب المفعول بقصد الإخبار عن الاسم بعده، وفساد هذا الرأي كما يرى أنصار سيبويه يعود إلى أن المعاني لا تنصب المفاعيل الصحيحة، وإنما تعمل في الظروف والأحوال(ابن هشام,1998). ورأي آخر يقول فيه أنصار الكسائي: إن ضمير النصب استُعير مكان ضمير الرفع بدليل ما جاء في قراءة الحسن " إياك نعبد "(الحمد,5)، وذلك ببناء الفعل للمفعول، وهذا عند أنصار سيبويه تأويل غير دقيق لا يقاس عليه(ابن هشام,1998).

بفلسفة التعليل والتأويل التي اتبعها الفرقاء في هذه المسألة تطور البحث اللغوي عند العرب وطرق أبوابا جديدة أضافت إلى الدرس اللغوي نمطا علميا جديدا، علما أن بعض التعليلات لم يناقشها سيبويه واتباعه من بعده, فابن هشام يقول:" وسيبويه وأصحابه لا يلتقتون لمثل ذلك، وإن تكلم به بعض العرب " (ابن هشام ,1998). وخلاصة هذا الباب أن الأعراب كانوا يظهرون في المسائل التي جاءت في بعض لهجات العرب, واستحضارهم وإقرارهم بمثل تلك الاستخدامات كان بمثابة القول الفصل الذي يُجْتمع عليه ويقطع باب الشك فيها أو التردد في الأخذ بها.

ثانياً: الأعرابي في القضايا اللغوية:

المرحلة الأخيرة بعد التقعيد والتطور والاكتمال.

القضايا الصوتية:

القضية الأولى: قال الفراء" الفندق مثل الخان"، قال وسمعت أعرابيا من قضاعة يقول: فنتق"(الفراء, د/ت). ورواية الفراء عن الأعرابي هنا في باب إبدال التاء والدال في لهجة من لهجات العرب، فسيبويه يقول":... كذلك ؛ لأنه من الذلول، يُقال للذلول مُدَّرب، فأبدلوا التاء مكان الدال"(سيبويه,1996). وقال ابن جني موضحا:" ناقة تربوت، وأصلها دربوت، وهي فعلوت من الدربة، أي هي مذللة، فالتاء بدل من الدال" (ابن جني,2000). وهذا الإبدال ممكن من وجهة صوتية فسيبويه يقول عن الصوتين:"... لأنهما من موضع واحد وهما شديدان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس، وذلك قولك... انقتًاك"(سيبويه,1996). وعليه فالرواية تُؤكد فكرة الإبدال بين الصوتين كما أقرّها الفكر اللغوي وحضور الأعراب أو غيابهم لن يؤثر شيئا.

القضية الثانية: يقول الفراء: (قال تعالى: "فأما اليتيم فلا تقهر" (الضحى, 9) هي في مصحف عبد الله (فلا تكهر) وسمعتها من أعرابي من بني أسعد قرأها عليً) (الفراء, د/ت) تمثل الرواية قضية صوتية دقيقة شغلت علماء هذا العصر كثيراً، وذلك لأن وصف الأوائل لصوت القاف يختلف كثيرا عن نطقه الحالي، وقد رأى إبراهيم أنيس في ضوء تطور القاف في اللهجات العربية أنه لا يمكن تحديد كيفية نطق الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى لهذه الصوت (أنيس,1999).

وأما البحث في هذه الرواية بناءً على وصف الأوائل فهي دليل على جواز إبدال صوت الكاف من القاف لتوالي مخرجيهما مباشرة، وتشابههما في الصفات النطقية سوى الجهر والهمس(سيبويه,1996) لذا فالقرطبي يقول في هذه الآية:(والعرب تعاقب بين الكاف والقاف) (القرطبي,1993)، على أن النحاس يرى أنهما لغتان لمعنيين يتفاوتان نسبيا(القرطبي,1993)، وعليه فالرواية تُؤكد

فكرة الإبدال بين القاف والكاف كما هي في واقع الاستعمال اللغوي دون الحاجة لتأكيد الأعراب أو نفيهم.

القضية الثالثة: يقول عز وجل: "أفلا يعلم إذا بُعثر ما في القبور" (العاديات,9)، ويقول الفراء (... وسمعت بعض أعراب بني أسد وقرأها فقال: بحثر وهما لغتان (بعثر وبحثر) (الفراء, د/ت).هما لغتان لمعنٍ واحد (الأزهري,2001) والإبدال بين العين والحاء جائز، فقد أشار الأوائل إلى تقارب كبير بين الصوتين قال الخليل: "فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقُرب مخرجها من العين "(الفراهيدي,2003), وقال سيبويه في باب إدغام الحروف المتقاربة من مخرج واحد "لم تُدغم الحاء في العين في قولك: امدح عرفة... ولكنك لو قلبت العين حاء فقلت...(امدحًرفة) جاز (سيبويه,1996) وعليه فرواية الأعراب هنا تمثيل لقانون صوتي حدده الفكر اللغوي صراحة لا خلاف عليه.

القضية الرابعة: قال الأصمعي: (سمعت خلفا يقول: سمعت أعرابيا يقول: لم يُحْرَم من فُزْدَ له، أي فَصد له، فخفف وأبدل من الصاد زايا)(القالي,د/ت).

ويعد هذا الإبدال من القضايا الصوتية التي عالجها الفكر اللغوي قديما، وقدم لها تفسيرات دقيقة، قال سيبويه: (فأما الذي يُضارَغ به الحرف الذي من مُخَرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال، وذلك نحو: مصدر وأصدر والتصدير؛ لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة...) (سيبويه,1996) والإبدال في هذه الكلمات يختلف عن الإبدال في صيغة الافتعال بين الصاد والتاء؛ وذلك لأن الدال أصلا في المجموعة الأولى وليست زائدة مثل (تاء) الافتعال, وأما ما دفعهم إلى هذا الإبدال فهو التقريب في نطقهم على ضرب واحدٍ بين الصاد الساكنة المهموسة المطبقة، والدال المتحركة المجهورة غير المطبقة، فضارعوا بالصاد أشبه الحروف بالدال من موضعه، وهي الزاي المجهورة غير المطبقة، ونطق بعض العرب الزاي مع شيء من الإطباق فلم تكن زايا خالصة، ونطق آخرون الزاي خالصة دون إطباق (سيبويه,1996) وعليه كانت هذه الرواية تأكيدا لفكرة الإبدال بين الصاد والزاي في مثل هذه الكلمات فقط.

القضية الخامسة: قال ابن خالويه:" اختلف اثنان في السقر والصقر، فقال أحدهما بالسين وقال الأخر بالصاد، فسألت أعرابيا كيف تقول بالصاد أم بالسين، فقال: أما أنا فأقول بالزاي"(ابن خالويه, د/ت). يصنف علماء اللغة (الصاد، السين، الزاي) تحت مجموعة الأصوات الصفيرية التي تتتج من " بين طرف اللسان وفويق الثنايا"(سيبويه,1996), ويقول إبراهيم أنيس "أراد سيبويه من وصفها بالصفير أن يميزها من بين الأصوات الرخوة؛ لأن الرخاوة فيها تفوق كل الأصوات الرخوة الأخرى"(أنيس ,1999) (سيبويه,1996), والإبدال بين هذه الأصوات على سبيل التقريب ممكن في ظل الظروف المناسبة له. وتظهر في هذه المسألة بناءً على كلام الأعرابي حالتان:

1- إذا كانت الكلمة بالصاد فقد قُلبت الصاد زايا.

2- إذا كانت الكلمة بالسين فقد قُلبت السين زايا.

الحالة الأولى: قلب الصاد زايا (صقر - زقر).

إبدال لا يقع في الأصل ؛ لأن الصاد متحركة, وسيبويه يقول: (فإن تحركت الصاد لم تُبدل، لأنه وقع بينهما شيء فامتُنع من الإبدال، إذ كان يُترك الإبدال وهي ساكنة) (سيبويه,1996) أي أن الصاد عندما تتحرك تصبح إمكانية الإبدال ضعيفة؛ لأن أثر الأصوات المجاورة يضعف لكن يقول سيبويه: "... وربما ضارعوا بها وهي بعيدة نحو: مصادر "(سيبويه,1996)، فكلمة مصادر يمكن إبدال الصاد فيها زايا؛ لأن الدال فيها بعد الصاد صوت مجهور، وعند النطق يكوّن الصاد المهموس مع الدال المجهور مقطعا مستثقلا، وبما أن الإبدال يقع تسهيلا للنطق، فإن الصاد تقلب إلى النظير المجهور لها، والأقرب من مخرج الدال هو الزاي، وكذلك الحال في (صقر، زقر) فالقاف المجهورة كما في وصف القدماء تؤثر في الصاد المهموسة، فتُبدل الصاد إلى نظيرها المجهور وهو الزاي، كما في لهجة كلب حيث تقلب الصاد مع القاف خاصة زايا (ابن جني, 2000).

الحالة الثانية: قلب السين زايا (صقر - سقر).

إبدال لا يختلف عن سابقه، فبما أن العرب أبدلوا الأصوات تقريبا للنطق من مخرج واحد، واستعمالا للسانهم في ضرب واحد، فالأسباب التي دعت إلى إبدال الصاد هي نفسها دعت إلى إبدال السين، فالسين صوت مهموس والقاف بعدها كما جاء في وصف الأوائل مجهور، وعليه قلبت السين إلى نظيرها المجهور الزاي، كما في لهجة كلب، حيث يقلبون السين مع القاف خاصة زايا كما في سقر وزقر (ابن جني,2000).

و بعُد، يلاحظ أن الرواية في كلام الأعرابي جاءت تمثيلا لقواعد صوتية أثبتها الفكر اللغوي وبين أسبابها.

القضايا الصرفية:

القضية الأولى: جاء في إصلاح المنطق (يقال: نَعْم ونِعَامُ عين ونُعمَة عين، قال ابن السكيت: سمعت أعرابيا من بني تميم يقول: نَعْم ونَعَام عين)(ابن السكيت, د/ت), فالقياس في المثال المذكور كما جاء عند سيبويه(... ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف وكان (فَعْلا) فإنك إذا ثلثته إلى أن تعشره فإن تكسيره (أفْعُل)... فإذا جاوز العدد هذا فإن البناء قد يجيء على (فِعال وفُعول) (سيبويه,1996) وكلام الأعرابي هنا مثال يؤكد استخداما تقول به العرب, إذ جاء في العين (والعرب تقول نَعْمَ ونعُمى عين ونَمَامَ عين...)(الفراهيدي,2003).

القضية الثانية: قال تعالى: "أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا..." (الإسراء, 92) قال الفراء: و (كِسْفا) الكِسف: الجماع، قال: سمعت أعرابيا يقول لبزاز ونحن بطريق مكة: أعطني كِسْفة أي قطعة، والكِسْف مصدر وقد تكون الكَسْف جمع كِسْفة: وكِسْف" (الفراء د/ت) ورواية الأعرابي تثبت ضبط كلمة (الكسف) وتأكيداً لما ذهب إليه علماء اللغة إذ يقول الخليل: (والكِسْفة: قطعة سحاب أو قطعة قُطن أو صوف فإذا كان واسعا كبيرا فهو كِسْف، ولو سقطت من السماء جانب فهو كِسْف) (الفراهيدي, 2003) القضية الثالثة: جاء في إصلاح المناطق (والرفاع: أن يُحصد الزرع ويرفع، قال الفراء: هو الدَّواء، وقال أبو الجراح: الدِّواء مكسوراً) (ابن السكيت, د/ت). فرواية (الدّواء) بالكسر كما يقول أبو الجراح جاءت على قياس جائز؛ لأن الخليل يقول: (لو قلت دِواء جاز في القياس) (الفراهيدي, 2003):

القضية الرابعة: (قال أبو زيد: سمعت أعرابيا من بني تميم يقول: فلان كِبرة ولد أبيه، إذا كان أكبرهم)(الأنصاري,1981) وأصل هذه الصيغة أن يقال (الكُبرُ بالضم – أكبرُ ولد الرجل ويُجمع أكابر) (الفراهيدي,2003) ولكن سمع عن العرب قولهم كِبرة – بالكسر – بمعنى أكبر ولد أبيه، فقال الأزهري: (أخبرني الإيادي عن شمر، يقال: هذا كِبرة ولد أبيه، للذكر والأنثى)(الأزهري,2001) وعليه فكلام الأعرابي جَاء تأكيدا لاستخدام سُمِع عن العرب.

القضية الخامسة: " ذكر ابن السكيت أن الإبط مذكر وقد يؤنث، حكى الفراء عن بعض الأعراب: رفع السوط حتى برقت إبطهُ)، (ابن السكيت, د/ت) فرواية الفراء عن الأعراب هذا الاستخدام مثال سماعي جاء خلافا للأصل، ولكن قال بعض المتأخرين: الإبط... يُذكّر ويؤنث والتذكير أعلى(ابن منظور, 1999), وعليه فالمثال دليل على تأنيث هذه الكلمة عند بعض القبائل العربية.

معاني الألفاظ:

القضية الأولى: (حكى ابن الأعرابي عن بعض الأعراب: لا والذي وجهي زمّمَ بيته ما كان كذا وكذا، أي قبالته)، (ابن السكيت, د/ت) فالرواية دليل على استخدام العرب لكلمة (زمم) بمعنى (مقابل) وهو من المعاني التي نقلها الأوائل في معاجمهم بالرواية نفسها (الأزهري ,2001)، وجاءت من باب التمثيل لاستخدامات خاصة في قبائل عربية سُمعت عنها هكذا, وعليه فالمثال يثبت دلالة سُمعت في قبيلة من قبائل العرب لمادة (زمَمَ).

القضية الثانية:

(أنشد بعضهم: يُضِيءُ كضَوْء سِراج السّليْ طِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ مِنْهُ نُحَاسا

قال الفراء: قال لي أعرابي من بني سليم: السليط: دهن السنام وليس له دخان إذا استصبح به، وسمعت أنه الخل وهو دهن السمسم، وسمعت أنه الزيت، والزيت أصوب فيما أرى) (الفراء, د/ت) والرواية هنا على لسان الأعرابي دليل على معنى كلمة السليط, وذكر الأوائل لها أكثر من معنى، منها: الزيت والخل والدهن، وسبب هذا التعدد يعود إلى أن السليط هو مادة الوقود التي كان يستخدمها الناس قديما للإضاءة، وعليه فالمثال إثبات لاسم من الأسماء التي تعارف عليها أفراد قبيلة من قبائل العرب لهذه المادة (الفراهيدي, 2003).

القضية الثالثة: قال تعالى: "ويكأن الله يبسط الرزق..."(القصص, 82) قال الفراء: (في كلام العرب تقرير، كقول الرجل، أما ترى إلى صنع الله... وقال: أخبرني شيخ من أهل البصرة قال: سمعت أعرابية تقول لزوجها أين ابنك ويلك ؟ فقال: ويكأنه وراء البيت. معناه: أما ترينه وراء البيت) (الفراء, د/ت). إذ تعد الرواية دليلا على استخدام كلمة (ويكأنه) بمعنى التقرير، وقد استحضرت على لسان الشيخ بذلك المعنى، على الرغم من أن معنى التقرير ظهر بناءً على تفسير الشيخ لكلام الأعرابية، فكلامها لا يعكس المعنى الذي يريده الفراء صراحة. فالعرب لها في كلمة (ويكأنه) أكثر من وجه في تركيبها، لكن المثال في المسألة جاء على معناها الذي تُستخدم به. قال الخليل: "(وي): كلمة تكون تعجبا ويُكنى بها من الويل, تقول ويك إنك لا تسمع موعظتي... وقال: هي مفصولة، تقول:(وي) ثم تبتدئ، فتقول:(كأن) "(الفراهيدي, 2003) و (سيبويه, 1996) وقد وافق الفراء هذا الرأي فقال في تفسير الآية

السابقة: "إن معنى (وي كأن) أنّ (وي) منفصلة من (كأن) كقولك للرجل: وي، أما ترى ما بين يديك، فقال: وي، ثم استأنف (كأن) يعني (كأن الله يبسط الرزق) وهي تعجب، و(كأن) في مذهب الظنّ والعلم، فهذا وجه مستقيم...) (الفراء, د/ت) وبعد، فالمثال في رواية الشيخ عن الأعرابية من غير تأويل لا يمثل سوى مثال على استخدام كلمة (ويكأنه) بمعنى التعجب بعد التنبيه على أمر ما وهذا استخدام قال به العلماء.

القضية الرابعة: قال تعالى: "بئسما اشتروا به أنفسهم" (البقرة ,90) قال الفراء: (معناه والله اعلم باعوا به أنفسهم، وللعرب في شروا واشتروا مذهبان، فالأكثر منها أن يكون شروا: باعوا، واشتروا: ابتاعوا، وربما حملوها جميعا في معنى باعوا... وبعته: اشتريته وهذه اللغة في تميم وربيعة، وسمعت أبا ثروان يقول لرجل: بع لي تمرّا بدرهم، يريد اشتر لي) (الفراء, د/ت) وكلام أبي ثروان دليل على استخدام كلمة (بع) بمعنى اشتر وهذا مما قال به الأوائل في معاجمهم، فقد ورد عند الخليل: (والعرب تقول: بعت الشيء بمعنى اشتريت، ولا تبع بمعنى لا تشتر) (الفراهيدي, 2003) وعليه فالمثال يثبت أن العرب يستخدمون كلمة (بع) بالتضاد.

القضية الخامسة: قال تعالى: "... لِنَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ مُجَّةً إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ "(البقرة ,10) قال الأخفش: هذا بمعنى (لكن) وزعم يونس أنه سمع أعرابيا فصيحا يقول: ما اشتكى شيئا إلا خيرا، وذلك أنه قيل له: كيف تجدك؟ ورواية يونس عن الأعرابي في استخدام كلمة (إلا) بمعنى(لكن) محاكاة للنص القرآني، وهذا مما قال به الأوائل في مصنفاتهم فقد ذكر سيبويه نماذج كثيرة على هذا المعنى وقال: (هذا الضرب في القرآن كثير) (الأخفش,1981)، وعليه جاء المثال تأكيدا لاستخدام أقره المعجم اللغوي بنماذج كثيرة من القرآن الكريم.

القضايا النحوبة:

القضية الأولى: جاء عند الأخفش في معاني القرآن: (إذا قلت ويل زيد فكأنك قلت: ألزمه الله الويل، وأما رفعك إياها اللام، فإنما كان لأنك جعلت ذلك واقعا واجبا له في الاستحقاق، ورفعه على الابتداء، وما بعده مبني عليه، وقد نصبه قوم على ضمير الفعل، وهو قياس من يقولون: ويلا لزيد) (الأخفش,1981)

قال الشاعر (جرير, 1986):

كسا ٱللؤم تيما خُضْرةً فِي جُلُودِها فَويْلا لِتيْم مِنْ سَرابِيْلِهِم الخُضْرِ

قال الأخفش: (حدثتي عيسى بن عمر أنه سمع الأعراب ينشدون هكذا بالنصب، ومنهم من يرفع ما ينصب في هذا الباب)، (الأخفش,1981). ورواية عيسى بن عمر عن الأعراب دليل على قراءة بعضهم كلمة (ويل) في بيت الشعر السابق بالنصب وقراءة بعضهم الآخر بالرفع، وذلك لأن كلمة (ويل) من المصادر المفردة التي تستخدم للدعاء فتحتمل أكثر من وجه إعرابي، وقد فصّل الأخفش في شرحه بيت الشعر التوجيه النحوي لهذه القضية كما يراها الجمهور، وجاء عند سيبويه توجيه هذه المسألة في باب (المصادر المفردة المدعو بها) و(المصادر في غير الدعاء) وفي باب (النكرات التي تجري مجرى ما في الألف واللام من المصادر) (سيبويه,1996) وقراءة الأعراب لبيت الشعر نصبا ورفعا لكلمة (ويل) يعود إلى المعنى المراد إيصاله أو المعنى المفهوم من البيت (فالنصب على الدعاء, وأما الرفع فعلى قولك: ثبت ويل له، لأنه شيء مستقر، فويلٌ مبتدأ و(له) خبره، وعليه ينشد هذا البيت على وجهين)(المبرد,1994) إذن فالرواية تؤكد استخداما أثبته الفكر اللغوي في ضوابطه.

القضية الثانية: قال تعالى: (إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ..) (طه ,63) يقول الأخفش (... أصحاب هذا الرأي يزعمون أن بلحاث بن كعب يجعلون الياء في أشباه هذا الفا، فيقولون رأيت أخواك، وذهب إلاه... وزعم أبو زيد أنه سمع أعرابيا فصيحا من بلحارث يقول: ضربت يداهُ وضعت علاه، يريد، يديه وعليه) (الأخفش,1981) والرواية كما يزعم أبو زيد هنا استخدام قبيلة بلحارث بن كعب صيغة واحدة للمثنى في حالات الرفع والنصب والجر، دون تأثر علامة المثنى بحالة الإعراب، أي أنهم يلتزمون حالة واحدة في الإعراب وهي الحركة المقدرة على الألف، والأخفش استحضر هذه الرواية لإثبات فكرة من يرون أنّ (إن) في الآية السابقة حرف ناسخ عامل والدليل هذه اللهجة.

القضية الثالثة: قال تعالى: " وَإِذِا كَالُوهُمُ أَو وَرَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ" (المطففين, 3) قال الفراء: (الهاء في موضع نصب، تقول قد كلتك طعاما كثيرا, وكلتني مثلهُ تريد كلت لي، وكلت لك، وسمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المد إلى الوسم المقبل) (الفراء, د/ت). ورواية الفراء عن الأعرابية دليل على أن الفعل (كيل) تعدّى إلى مفعول صريحاً، والأصل أن هذا من الأفعال التي تتعدى بحرف الجر (اللام)، ولكن سُمع عن العرب تعدّيه مباشرة، فجاز ذلك؛ لأنه يُفهم منه معنى حرف الجر المحذوف، وعليه فالمثال يؤكد استخداما أجازه الفكر اللغوي، وأقرّه النص القرآني (سيبويه,1996).

القضية الرابعة: قال الكسائي: (سمعت أعرابيا ورأى الهلال فقال: الحمد لله ما إهلاك إلى سرارك، يريد ما بين إهلاك إلى سرارك، فجعلوا النصب الذي كان يكون في (بين) في ما بعده إذا سقطت ليعلم أن معنى بين مراد) (الفراء, د/ت). ورواية الكسائي دليل على حذف المضاف وإقامة المصناف إليه مكانه إذا أُمِن اللبس؛ لأن المضاف إليه يوضح معنى المصناف المحذوف، وقد جاء عند سيبويه: (تقول إذا نظرت في الكتاب: هذا عمرو وإنما المعنى هذا اسم عمرو، وهذا ذكر عمرو، ونحو هذا إلا أن هذا يجوز على سعة الكلام) (سيبويه,1996)، وعليه فالمثال في الرواية كما سمعها الكسائي عن الأعرابي جاء تأكيدا لاستخدام يجيزه الفكر اللغوي في كلام العرب.

القضية الخامسة: قال تعالى: " وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ بِإِلْمَادٍ بِظُلُمٍ..."(الحج,25)، قال الفراء:" دخلت الباء في (إلحاد)؛ لأن تأويلها: ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم، ودخول الباء في (أن) أسهل منه في الإلحاد وما أشبهه... فأدخل الباء على أن وهي في موضع رفع، كما أدخلها على إلحاد بظلم وهو في موضع نصب" (الفراء, د/ت) قال:" وسمعت أعرابيا من ربيعة سألته عن شيء فقال: أرجو بذلك، يريد أرجو ذلك "(الفراء, د/ت). ورواية الفراء عن الأعرابي دليل على دخول الباء حرف الجر الزائد دون أن يؤثر في المعنى، وهذا مما أجازته اللغة، فقد قال سيبويه في توضيحه لقوله تعالى (قُلْ كفي بِالله شَهيدا بينني وبينكم)(الرعد,33):" إنما هي كفي الله، ولكنك لما أدخلت الباء عملت، والموضع موضع نصب، وفي معنى النصب، وهذا قول الخليل _ رحمه الله _" (سيبويه,1996): وقل سيبويه عن دخول (من) حرف جر زائد:" وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما، ولكنها توكيد بمنزلة (ما)...وقد تكون(باء الإضافة) بمنزلتها في التوكيد، وذلك قولك: ما زيد بمنطلق... وكذلك: (كفي بالشيب) لو ألقى الباء استقام الكلام "(سيبويه,1996) وعليه جاء المثال تأكيدا لاستخدام أجازه الفكر اللغوي في ضوابطه.

الخاتمة:

في النهاية خلصت الدراسة إلى أن ظهور الأعراب في البيئات اللغوية – في المدد الزمنية التي تنتمي لها الأمثلة المقترحة للدراسة – تمّ لأغراض محددة كما أرادها مستحظروها, ففي باكورة النشاط اللغوي كان ظهور الأعراب في بعض الأمثلة لغاية تعليمية لقراءة القرآن قراءة سليمة ومع تطور الدرس اللغوي ونضوج النحو وتكشّف ملامحه أصبح ظهور الأعراب يُستدعى لتأكيد الضوابط اللغوية بالكيفية التي أثبتها الفكر اللغوي، وأما مع نضوج النحو العربي واكتماله – كما جاء في مادة المحور الثاني – فقد بات حضور الأعراب بمثابة المثال السماعي في لهجة من لهجات القبائل العربية، وعليه فتوظيف ظهور الأعراب واستحضارهم بهذا الشكل قد يكون بتأثير من فكرة الإسناد – في العلوم الشرعية – التي تعزز قيمة الرواية ومصداقيتها؛ ومع ذلك ففصاحة الأعراب لم تكن مثار شك في مقصد الدراسة بقدر ما كان التوظيف والغرض المقصود عند الرواة وعند علماء اللغة هما الجدلية في ذاتها.

قائمة المصادر والمراجع

السيوطي, ج (1998) الاقتراح, تحقيق: محمد حسن الشافعي، بيروت: الكتب العلمية

References

Al-Suyuti, c (1998) Alaiqtirah, Investigation: Muhammad Hassan al-Shafii, Beirut: Scientific Books

The emergence of Bedouins in the linguistic environment between employment and reality

Majdi shhadat *

ABSTRACT

This title deals with the study of the fact that the Bedouins, who have been employed in the linguistic environment, appear as a linguistic reference that plays the role of a judge who separates linguistic disputes between Arabs. In the first stage of the stages of the linguistic lesson, the Bedouin entered a new era until their invocation at the first time became a phenomenon worthy of standing on, as the examples that were assigned to them . The arguments for their attendance need consideration and reflection. The study collected various examples, linguists tried to prove specific ideas behind them, or confirm their orientations by assigning them to the Bedouin, so most of these examples came from the door of the famous in the Arabic language by analogy and used as they are in the origins of linguistic thought, hence this study was intended to present an accurate scientific perception of that. The strong presence of the Bedouins, their authority and the sometimes suspicious employment of how it suits the needs of their contemporaries and serves their ideas.

Keywords: Bedouin; narrator; thought; linguistic; Example.

^{*} Al-Balqa University, Jordan.